العدد (2050) السنة الثامنة - الأثنين (21) شباط 2011 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

"قصيدة النثر" وإشكالية التقنين

في الجلسة الختامية لندوة " قصيدة النثر" المنعقدة في محافظة البصرة بتاريخ ٢٣ كانون أول ٢٠١٠ كان هناك توجه نحو مضاعفة الجهد النقدي والجمالي لإيجاد ضوابط ومحددات لقصيدة النثر يهدف إلى قوننة وتعين " قصيدة النثر" بغية فرزها عن بقية أشكال وأنماط الكتابة الشعرية، أعتقد إن مثل هذه الدعوة هي ليست وليدة اليوم أو ليست المسعى الأول من نوعه، إنما هناك كم هائل من مقالات وبحوث وكتب ابتغت الإمساك بشفرات أو أنساق أو ضوابط مشتركة التي تحكم هذا النوع من الكتابة الشعرية، حيث إننا لا نقبض في قصيدة النثر سوى على ملامح الانفتاح التام للقصيدة وإيقاع لا متناهٍ لها.

رزاق عداي

حضور ملتقى قصيدة النثر

والحقيقة إن الالتباس يطوق قصيدة النثر، فمن التسمية أولا، إذ إن هذا النوع من الكتابة يعلن عن إشكالية التسمية ومنذ الوهلة الأولى فهو يتداخل وينشطر بين جنسين من الكتابة، النثر: حيث حرية الكتابة المنطلقة دون قيود، وإنفتاح دون نهاية مع فحوى الفكرة أو الإحساس، فالكتابة النثرية تمتلك الحرية التامة ولا تشترط التعريف ضمن معايير ثابتة، والسرد النثري يتضمن الإفصاح التام لأي كمون داخلي والانطلاق في توصيف الخارج دون حدود.

وعلى العموم فإن اللغة في النثر تكون ذات طابع نفعي أو ذات هدف متعين أساسا، على خلاف الشعر الذي تكون فيه اللغة لا تحمل طابعا غائيا مثلما في النثر، فاللغة في الشعر تشتغل بمستوى أعلى من المستوى العادي أو اليومي الإستهلاكي وهي مجردة من الهدف والدلالة الوظيفية حيث تصبح بمستوى المجانية وهي تتحدث في جوانية الشاعر دون أن يحتكرها أو يسوقها كما في النثر، فالشاعر في قصيدة النثر يتواطأ مع لغته ويسكنها، ولنا هنا أن نفهم رأي الفيلسوف الوجودي" هايدغر" بأن الشعر دون سواه من الأجناس الأدبية، هو القادر على بلوغ تخوم الوجود الأصيل. من هنا تنبثق أسئلة كثيرة:.كيف الجمع بين هذا التنوع من البؤر والسمات؟ وهل هناك ما يمهد من شفرات ولمحات وأنساق داخل القصيدة وخارجها تساعدنا لضبط المشتركات التي تعين ملامح هذه القصيدة؟

فلنبدأ من البداية حتى نتمكن من تقصي ملامحها بشكل عام والدوافع الخارجية والتاريخية المحفزة لنشأتها، وليس في هذا ما ينطوي على نية التطويق المعقلن لأن قصيدة النثر هي أساسا مطلقة وتنأى عن أية قسرية في التحديد باستثناء أنها تنتمي إلى الشعر، ولأن مفهوم الشعرية يتساوق مع الإيقاع فسيكون حريا أن يتلازم الإيقاع مع ما يسمى بقصيدة النثر حتى نتمكن من انتزاع هذه الماهية الإبداعية " قصيدة النثر الفنية" عن الشعر عبر أشكاله التقليدية من جهة وعن النثر حيث هو كلام منفتح لا يخضع إلى الإشتراطات التي تعتبر معايير شعرية تتمركز في الشعر ذاته، فالسؤال المهم إذاً كيف لنا أن نقرر إن هذا النص من الكتابة " قصيدة النثر" ينتمي إلى الكينونة الشعرية، ولا غرو أن هذا السؤال يؤشر أهمية خاصة في مجال الاستدلال.وإن الاستدلال المنطقي هو النزوع الذي هيمن على مدى الجهد النقدي القديم في محاولة لالتقاط التشخيص باتجاه ظاهرة ما أو نشاط معين لغرض تأشير الحدود التي تفصل هذه الظاهرة أو هذا النشاط عن ذاك.

ففي الشعر كان التحديد القديم قائما على أساس، إن الشعر هو الكلام الموزون والمقفى وهذا التعريف التقني ظل يمارس فعاليته على مدى زمن طويل حتى استطاعت بعض الجهود النقدية اللاحقة إدخال بعض المؤشرات الإضافية لتخليص الشعر عما يختلف عنه.

في وقتنا الحاضر يصبح الأمر في غاية الصعوبة بين الأجناس الأدبية والفنية عند غايته، دع عنك التطورات السريعة والمتواترة في الجنس الأدبي ذاته، أقول إن هذا التداخل أصبح متشابكا إلى الدرجة التي يستدعي فيها قدرة متمكنة للتبصر في تخليص النوع في ذاته ومن تحديات خارج ذاته، وهذا لب ما أنوي تناوله في ترجمة هذا الفيض أو حتى الفوضى التي تسم الساحة الشعرية.

في القديم وتحديداً في العصر قبل الإسلام، قيل إن الشعراء كتبوا الشعر دون العودة إلى معيار معين أو متعارف عليه، ولكنهم استطاعوا وبدلالة الحدس وبعيدا عن الضبط المنطقي أن يستدلوا وبيسر إلى ما قالوه أو كتبوه هو من الشعر دون سواه، وفي الوقت نفسه كادوا أن يتفقوا أن ما كتبه "زيد" من الشعر هو أكثر بلاغة ووقعا شعريا مما كتبه "عمرو"، وعندما بلغ الأمر إلى الفراهيدي أراد أن يرهف الحس والسمع كثيرا ليستمع إلى ما ينبض داخل ما قاله هؤلاء الشعراء، لقد كانت النتيجة في منتهى الإبهار، فلقد تبين له أن هناك منظومة من الأنساق تترادف وتتواتر في كل مرة ثم تتابع بعد ذلك مؤلفة هذا النسق الذي له طابع النغم الموسيقي في مجراه، وراح يؤلف جريانا عاما للقصيدة، ولكن من أين يجيء هذا النغم ليركن ثم ليتدفق داخل القصيدة وبعدها ليكون محتواها الكلي؟ لا شك إن الإجابة على هذا السؤال كانت بسيطة وبديهية إذ إن الأذن الموسيقية لا تلبث أن تكون في اندفاع حيوي مع الكون بالدرجة الأولى ومن ثم في رصد مجرى حركة الأشياء في بيئة معينة ومن تناغم يشمل الطبيعة برمتها.

والواقع أننا لو رجعنا إلى العصور الأولى للتفكير اليوناني لوجدنا أن الكثير من التصورات الجمالية قد نفذت إلى أفكار الطبيعيين الأوائل (عن الكون) عند فيثاغورس مثلا، عندما اعتقد إن هذا الكون يحتوي على قدر لا متناه من التناغمات، وسوف نجد أن هذه التناغمات قد كشفت عن نفسها عبر تجسيدات إبداعية وعلمية غير متناهية، وهكذا امتزجت هذه الفكرة الكلية لتنزلق عبر أحد الروافد الإبداعية ألا وهو الشعر، وهكذا استطاع الشعر التقليدي أن يكتشف حدوده خلال الأوزان الشعرية والقافية، وما تلا ذلك من تطورات لاحقة تعمقت الرؤية في القصيدة من خلال التأثيرات المتبادلة الخارجية والنمو الطبيعي الداخل، بتأكيد وإضافة التراكمات المتعاقبة التي حصلت على جسد القصيدة.

فعند تأمل قصيدة النثر في الآونة الأخيرة يمكن التسليم بأن هذه القصيدة كانت امتدادا لقصيدة النثر التي برزت في عقد الستينات من القرن الماضي وقد خضعت إلى تفاعلات في القصيدة العربية إذ إن الأخيرة انطلقت بواقع تأثيرات أجنبية حفزتها مؤثرات كمنت وتفاعلت في الواقع بكل أبعاده، فعلى الساحة اللبنانية كان " أنسي الحاج" و "أدونيس" وغيرهما يشرعان بنشاط في الخوض بتجربة جريئة تتقاطع مع ما هو قائم آنذاك على ساحة الشعر العربي بكليته وكانت هذه التجربة تجري تحت تأثير واضح لتيار شعري راسخ في الثقافة الأوروبية، وكان هذا التيار قد أرسى دعائمه التنظيرية والتطبيقية على قدم وساق ولفترة طويلة.

وقد استقبل هذا الاندفاع نحو تجديد الرؤية الشعرية بشتى المواقف المتضاربة المستجيبة له والرافضة،وهذا أمر طبيعي على كل حال، ولكن على صعيد الساحة الشعرية العراقية ظلت مواقف الشجب والتنديد في أقصى حالاتها، واستطاعت الجبهة الرافضة له أن تحقق ما تصبو إليه في إحكام الحصار عليه بهدف القضاء التام على هذه الموجة الجديدة رغم بعض الأصوات التي استمرت في مواصلة استغلال الفرص المناسبة لنشر بعض النتاجات عبر مجلتي " الكلمة" و"شعر" وقد أعقب فترة الستينات انحسار لقصيدة النثر وذلك لارتفاع الأصوات المتشككة بهذا النوع من الكتابة الشعرية مدعية أن هذا النوع لا ينتمي إلى الشعر العربي بشيء بوصفه استنساخا لمواصفات معينة في الشعر الأوروبي، فأصوات قصيدة النثر تحاول زرع تجارب غريبة في أرض الشعر العربي والعراقي خاصة، وبهذا الصدد يمكن تفسير الصعود والانحسار في موجة قصيدة النثر إلى المناخ الثقافي لتلك المراحل وحساسيته في استقبال مثل هذه التجارب، عموما لا يمكن التأكيد تماما على أن قصيدة النثر قد تأثرت بهذه المعرقلات والمثبطات، بقدر ما أن ظاهرتها قد أخذت بالتوسع بل حتى الغلو تمثل هذا بالدعوات نحو قصيدة أو النص المفتوح تماما على جميع الأشكال الأخرى.

إن مجموعة المعطيات في الذوق الشعري باتت لا تخف ولعها بهذا النوع من القصيدة، ذلك بأن الثقافة لا يمكن لها أن تتحرك مقطوعة الصلة عما يدور داخليا وخارجيا، ومن المسلمات الحتمية أن التجديد لا يكتفي بإجراء التعديلات على نطاق شكلي أو تقني فقط أو من خلال خلخلة بسيطة لهيكل القصيدة، إنما الأمر أعمق من هذا بكثير في قضية تعني حدوث ثورة تجديدية ضمن الشكل الواحد أو ضمن تشكيلات متعددة، وهذا ما يشير إليه أدونيس في مقدمة كتابه" ديوان الشعر العربي" فعمق التجديد فيما يراه يتبلور أصلا في الرؤية المتجددة للحياة، وانطلاقا من هذا التحديد الواضح يمكن تعزيز القول أن قصيدة النثر هي تغيير جوهري عميق في ممارسة هذا التجديد، إننا بكتابة قصيدة النثر نمارس تلامسا شعريا يفترق عما كنا نألفه تقليديا، فموشور الرؤية سيجيء محفزا من طاقة غير مقموعة خلافا لاشتراطات القصيدة التقليدية.

أرى أن تقنين قصيدة النثر يعد هدفا صعب المنال، لأن هذه القصيدة تعتمد في بنيتها وصوتها على محدد أساسي يحتاج هو الآخر لاستبيان ماهيته، ألا وهو الإيقاع، فإيقاع قصيدة النثر مفارق ومطلق ولا يمكن اقتناصه، ولذلك تبدو قصيدة النثر مفتوحة ولمدى طويل وعلى كل المستويات.

متابعة

في دار الثقافة والنشر الكردية: زهير القيسي طاغور العراق

محمود النمر

احتفت دار الثقافة والنشر الكردية بالمؤرخ والكاتب زهير أحمد القيسي ،لما له من دور في رفد الثقافة العربية والكردية من شعر وتاريخ وروايات وترجمة .

وكان أول المتحدثين د. جمال العتابي مدير عام دار الثقافة والنشر الكردية الذي قال :تتشرف الدار أن تقيم لأحد رموز الثقافة والإبداع العراقيين هذا الاحتفاء اذ دأبت هذه المؤسسة عبر نشاطاتها وفعالياتها المتنوعة أن تقدم مثلا ونموذجا حيا خارج الأسوار والأطر التقليدية لتنطلق نحو فضاءات أرحب في المشهد الثقافي ،بعيدا عن التعصب والتحجر او الانزواء، والثقافة بمعناها الأشمل تعني الحياة والاستزادة المعرفية ،والتعامل مع حقائق ومعطيات العصر الجديد .

لنأخذ مثلا ماقدمته ثقافة الأخوة في كردستان عبر عقدين من الزمن اذ استطاعت ان تؤسس

لثقافة الحداثة والتجديد والحرية واحترام التنوع والاختلاف .

ان اقدامنا على طبع مؤلف للاديب زهير أحمد القيسي وفق هذه القياسات، إنما هو خطوة اولى لتعميم هذه الثقافة ،فلم تعد الثقافة الكردية تخص شعبا او قومية ما .. بل هي ثقافة إنسانية تتطلع نحو الافاق المشرقة المزدهرة بالحب والامل والبناء .

واكد وكيل وزارة الثقافة الاستاذ فوزي الأتروشي الذي أثنى على القيسي لأنه قدّم الكثير من المؤلفات المتنوعة في شتى المجالات وقال :ونحن نكرم قامة عراقية تمثل احد اعمدة الثقافة العراقية حيث كانت له العديد من البحوث التي كانت رافدا مهما في الثقافة .وأضاف الأتروشي، إن دار الثقافة والنشر الكردية كانت الوحيدة التي تخص الثقافة الكردية في الزمن الماضي والآن أصبحت الكثير من المؤسسات التي تعنى بالأدب الكردي وخاصة في إقليم كردستان ،علما إن هناك مجلة صدرت بعنوان (الجسر) وهي مجلة فصلية تديم العلاقة بين الثقافتين الكردية والعربية .

وقال الباحث حميد ياسين ان القيسي كان رجلا موسوعيا له عدة روايات وترجمات وكتب في عالم الشطرنج، وكذلك كان باحثا في العديد من القضايا التاريخية ،واثنى ياسين على منجزات زهير الثقافية لعدة عقود، منتميا إلى عالم الإبداع بكل ما يملك من طاقات ابداعية وهو رجل مخلص مثابر في طلب المعرفة .

وقال زهير احمد القيسي بعد ان شكر دار الثقافة والنشر الكردية بإقامة هذه الاحتفالية ان هذا التلاقح والتزاوج الطبيعي يشكل نقطة بارزة في تأريخ الثقافتين، وان التفريق القسري ما بين الثقافة العربية والكردية غير ممكن لأنهما نتاج بلد واحد، ونتاج تأريخي واحد وهذا التلاقح والتزاوج الطبيعي يشكل نقطة بارزة في تأريخ الثقافتين، عندي الكثير من الأشعار الكردية التي ترجمتها إلى العربية منذ أكثر من ٥٠ عاما، وهي لا تزال مركونة في مكتبتي المهملة .

وقال الإعلامي مازن لطيف : لايمكن العروج على سيرة القيسي وحياته الخاصة والعامة دون التطرق الى تجربته الثرية مع تاريخ العراق ومعايشته لمختلف مراحله المضطربة،بوصفه شاهدا عليها أيضاً ،ففي كتابات القيسي وأبحاثه التراثية التي تركت بصماتها الكبيرة في هذا الميدان تظهر شخصيته الحقيقية ،وبصفته مثقفا أصيلا من مثقفي العراق الحديث، القيسي عاشق للثقافة ومغرم بإبداعها بشكل عام وكتبها بشكل خاص،فمن خلال معرفتي به يمكنني القول ،بأنه من القلة القليلة التي تتصف بإنتاج غزير ومثير ، ولديه أكثر من ٥٠ مخطوطا تنتظر الطبع مابين دراسة ورواية وكتب في التراث.

فيما وقف الأستاذ المترجم كاظم سعد الدين، معلنا أمام الحضور إن زهير القيسي هو (طاغور العراق) لما يتميز به هذا الأديب من إبداع متنوع .

المؤرخ والكاتب والشاعر زهير أحمد القيسي ولد في بغداد عام ١٩٣٢ وقد كتب للصحافة والأدب والشعر منذ عام ١٩٤٩ .

من أبرز مؤلفاته الشعرية "أغاني الشباب الضائعة" عام ١٩٨٠، ومن كتبه أيضا "طرزان هاملت الأدغال" و "الزراعة في التراث العربي" وكتاب "الشطرنج" و "الأرقام" و "الرايات" و "ابن بطوطة".

روايته القصيرة "حجر الصبر".. عتيق رحيمي يتحرى محنة المرأة الأفغانية

ترجمة: نجاح الجبيلي

هل رواية "حجر الصبر" قصة عن الحرب أو حكاية خرافية أو أنها مقطوعة قاسية من الريبورتاج أو إعادة حكاية شهرزاد؟ ومن الجملة الأولى من المشهد الأول " في مكان ما من أفغانستان أو أي مكان آخر" يبدو أنها تنسل من الواقع داخل اللغة المريبة للحكاية الخرافية. ثم هناك غرابة الإطار الذي تدور فيه الأحداث: غرفة مفردة تشبه زنزانة يضطجع فيها رجل فاقد الوعي، عيناه مفتوحتان، وزوجته تنحني على جانبه، يسمع صوت طلقات وبعد ذلك سوف ينسحب الجنود بشكل مرعب قرياً. كل لحظة في هذا الفضاء الصغير مدّونة في سجل وإن يكن اتزان حلم فنتازي من موت ذبابة إلى أقصى أفعال العنف والحب شدة.

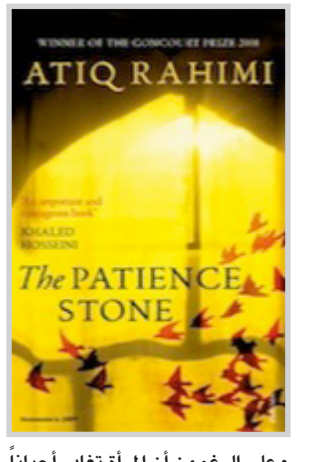

وعلى الرغم من أن المرأة تغادر أحياناً إلا أن القائد لا يفعل مطلقاً.

إن هذا السجن المؤثر يدين بالكثير إلى بيكيت كما تدين الكلمات المتقطعة : "الغرفة، رجلها، الجثة في العراء، هذا الجسد الفارغ"، ومثل بيكيت فإن عتيق رحيمي الكاتب والمخرج السينمائي الأفغاني اختار الفرنسية كلغة أم، إذ يراها كوسيلة للمراوغة من "الرقابة الذاتية الإلزامية" التي وجدها حين كان يكتب بالفارسية وسرعان ما جاء التشريف حين منح جائزة الغونكور عام ٢٠٠٨. لكن هذه الملفوظات المتعثرة هي فقط وسيلة لبناء التوتر إلى أن تبدأ المرأة بإلقاء طبقاتها على الرقابة الذاتية وتكشف كل شيء مخبوءاً في قلبها.

إن مونولوجها هو محاولة مباشرة من جانب رحيمي لتمزيق الحجاب من حياة النساء الأفغانيات. تتكلم عن الرغبة الجنسية والطاعة والتمرد والتجريد من الإنسانية التي تظهر حين لا يستطيع الجنسان أن يتكلما بشكل حر أحدهما للآخر. أحياناً تكون لغتها مباشرة. " أنت تخلع سروايلي دون أن تقول كلمة" وفي مكان آخر يمنح عدد وافر من الحكايات الشعبية الإسلامية صدى صوفياً لكلامها.

وآخر تلك القصص القديمة التي تلقى بترتيب مع أكثر رؤاها إدهاشاً هي عن حجر الصبر وهو شيء سحري يستطيع من خلاله كل البائسين في العالم حكاية أحزانهم إليه. وفي يوم وحين يسمع ما يكفي سينفجر الحجر ويحرر متوسليه من عذاباتهم. هذه القصاصة الغامضة من الأسطورة يجري عصرها من أجل آخر قطرة من السخرية فيما يعادل فعل الشجاعة السياسية والرواية القصيرة ذات الإنشاء الجميل والبارز بشكل عميق.

منتدى المعرفة في لندن يستذكر مير بصري

الباحث رشيد خيون

مازن لطيف

عقد منتدى مير بصري للمعرفة أولى ندواته في قاعة بيت السلام الواقعة في قلب لندن والتابعة لمؤسسة الحوار الإنساني بمناسبة صدور كتاب "مير بصري – سيرة وتراث" للباحثة العراقية فاتن محيي محسن الذي أصدر من قبل "دار ميزوبوتاميا" لصاحبها الصحفي مازن لطيف .حضر الندوة الكثير من الشخصيات العراقية المعروفة ومن جميع أطياف المجتمع العراقي في انكلترا. كما حضرت عقيلة المرحوم واثنتان من بناته الأربعة وأزواجهن وأحد أحفاده.

ألقت نيران البصون عريفة الحفل الكلمة الترحيبية بصفتها أحد مؤسسي المنتدى حيث أشارت فيها إلى فكرة تأسيس المنتدى وهي الاهتمام في شتى مجالات المعرفة التي أهتم بها الفقيد مير بصري والتي كانت عديدة وشملت الادب والشعر والتاريخ والاقتصاد.

وأشارت كذلك لرسائل التهنئة والتشجيع من قبل كبار الكتاب والشعراء والصحفيين العراقيين من داخل العراق وخارجه ومن ضمنهم الاديب سامي موريه كاتب سلسلة " ذكريات وشجون" ومؤلف قصيدة "الرحيل" المعروفة

حيث قدم اجمل التهاني والتبريكات بمناسبة تأسيس المنتدى وعقد اولى المحاضرات للإحتفاء بذكرى الفقيد الراحل الاستاذ مير بصري،وذلك بمناسبة صدور كتاب الباحثة فاتن محيي محسن، "مير بصري، سيرة. وتراث" .

هذه المبادرة الميمونة تشير الى انفتاح الأساتذة العراقيين والشعب العراقي في المهاجر خاصة على حرية الفكر والديمقراطية والمساواة،

كما ارسل الشاعر العراقي جبار جمال الدين بقصيدة "يا رائد الفكر" والتي نضمها خصيصاً بمناسبة تأسيس المنتدى وإقامة الندوة ،قرأتها عريفة الحفل بالنيابة عنه وقد ألقت أعجاب الحضور.ثم تحدث الكاتب والمؤرخ د. رشيد الخيون عن الكتاب والكاتبة حيث قام الخيون بكتابة شهادة للكتاب وأشار لتقديره للكاتبة في المبادرة بكتابة رسالتها عن مير بصري وكذلك تكلم عن علاقته الشخصية بالفقيد وعن مقدرته الأدبية والبحثية وتطرق الى موضوع يهود العراق كطائفة وعلاقتها بالعراق.

وتحدث الأستاذ ضياء كاشي ، الناشط في مجال حقوق الإنسان عن مير بصري الإنسان وكيفية لقائه بمير بصري في لندن قبل حوالي ٢٠ عام وكيف تحولت هذه العلاقة الى صداقة شخصية وعائلية. أما بالنسبة ليهود العراق كطائفة فذكر كاشي بأن أقسى اتهام على الإنسان هو التشكيك في حبه، والغريب بأنه رغم الظلم الذي حل على هذه الطائفة فأن أفرادها متمسكون بحبهم للعراق، وكذلك أشار بأن الحقيقة التاريخية هي بأن اليهود سكنوا بلاد الرافدين قبل المسيحيين، و المسيحيون قبل المسلمين، في نهاية الندوة شارك عدد من الحاضرين بسرد حكاياتهم الشخصية مع مير بصري بصورة خاصة وعن يهود العراق بصورة عامة .

برعاية مركز الصحافة الأوروبية.. إطلاق جائزة كامل شياع

بروكسل / خاص

اعلن مركز الصحافة الأوربية (أي جي سي) إطلاق جائزة كامل شياع. وسيحتضن مركز الصحافة الأوروبية هذا الحدث يوم الأثنين الموافق ٢١ شباط/فبراير على الساعة ١١ صباحاً في؛

و كرست هذه الجائزة لذكرى المفكر والكاتب العراقي/البلجيكي الراحل كامل شياع، والذي أغتيل في ٢٣ آب/أغسطس العام ٢٠٠٨ في بغداد. وقد عاد الراحل الى بلده الأصلي نهاية عام ٢٠٠٣ ،إبان الغزو الذي قادته الولايات المتحدة الأمريكية، آملاً في المساعدة بإصلاح ما خلفته الحرب من فوضى سياسية و أيدولوجية وإجتماعية.

وتأتي هذه الجائزة بناء على مبادرة من عائلته وأصدقائه، ولتحتفي بالدور الحيوي الذي لعبه كامل شياع بتعزيز قيم مثل حرية الصحافة، التفاعل مع المجتمع المدني، التسامح، الإستقلالية، المساواة بين الجنسين والتنوع.

وستمنح هذه الجائزة لصحافي/ عراقي/ شاب/ ، من العاملين في ظروف صعبة وهم يؤدون واجبهم، ومخصصة لإشاعة قيم مثل حرية الحوار الثقافي، التسامح، الشفافية، القانون والنظام وحرية التعبير.

وقد عضد مركز الصحافة الأوروبية ودعم هذه المبادرة كرسالة تضامن مع هؤلاء الذين قتلوا او ضيق عليهم وهم يقومون بواجبهم في دولة هشة مثل العراق.

ويذكر ان مركز الصحافة الأوروبية تأسس في ماستريخت (هولندا) في عام ١٩٩٢، وهو مؤسسة مستقلة، غير ربحية ومركز تدريبي، يهدف الى تحقيق أعلى المعايير في مجال الصحافة.

من البرج العاجي

"ميدان" القرن الحادي والعشرين

فوزي كريم

في محادثة معتادة هذه الأيام بشأن ما حدث في تونس ومصر، سألني صديق بأني كنت دائم الارتياب من فكرة الثورة الانقلابية، والسعي لقفزة التغيير الجذري في كتبي ومقالاتي وأحاديثي. فما الذي أقول بشأن ثورة تونس ومصر الآن؟

قلتُ: إن ما حدث هذه الأيام ثورةٌ من طراز جديد، لا علاقة له بالثورة الانقلابية الذي أنكرتُه. ولو استطعت أن أعثر على مفردة بديلة لسميتُ. حدثٌ لا يتماثل مع أية "ثورة" حدثت في القرن العشرين الغابر. ثمة خلاف نوعي بين ما حدث هذه الأيام وما كان يحدث تلك الأيام. القرن العشرون قدّمَ فكرةَ الثورة الانقلابية، مفهوماً وتطبيقاً، عبر شواهد عديدة. كانت في مجملها وليدةَ مسعى حالم، كذباً أو صدقاً،لـ"الفكرة العظمى" المقدسة. ثورة أكتوبر الروسية، وثورة كاسترو، وثورات البعث في العراق وسوريا حدثت بقيادة حزب عقائدي مسلح، أو معزز بدعم العسكر. ثورة عبد الناصر، وعبد الكريم قاسم، والقذافي، والنميري .. تمت بقيادة عسكرية، وبأحلام متطابقة مع أحلام الأحزاب العقائدية. وأحلامُها جميعا لا شأن لها بحاجات الناس الحقيقية. كانت فكرة "الحرية" و"العدالة" لديها أكثر قداسة من أن تسمح لها بالتفكير في أن تكون عادلة مع الناس، وتمنح لهم حريتهم كاملةً، ومعافاة.كانت "الفكرة" أكثر أهمية من الإنسان، وأكثر قداسة.

نموذج "الثورة الانقلابية" للقرن العشرين هذا بقي النموذج الأمثل في كل بلادنا العربية. وكانت مطمْئنة، ومُستساغة، لأنها متطابقةً بصورة ممتازة مع إرث الحكم الاستبدادي العربي الإسلامي، منذ العصر الإموي. حاكم مستبدٌ، تحيط به عائلة مستبدة، تحيط بهم حاشية ومرتزقة مستبدون. وحول الجميع تقف قوى الحماية العاتية، من جيش، وشرطة، وأمن.

في هذه الأيام خرج الناس، على حين غفلة، إلى الشارع، وأحدثوا التغيير الذي يريدون بسيولة ويُسر مُدهشين. خرجوا دون قيادة عسكرية، أو قيادة حزبية. بل هم خرجوا محذرين من أي تطفّل من القيادات العسكرية، والقيادات الحزبية للانتصار لحَركتهم، ثم الانتصار عليها فيما بعد! خرجوا على حين غفلة، لأنهم ظلوا ينسجون شبكة إرادتهم فيما بينهم، كلاً على حدة في ركنه الأعزل، داخل شاشات الانترنيت المضاءة وحدها.

الشعبُ يتآمر لأول مرة في التاريخ،سراً، ضد سارقي حريته، وقوته، وحقه في الحياة. امتلك وسيلة تآمره السرية في جهاز تلفونه النقال، أو في جهاز الكومبيوتر داخل البيت. الجهاز الصامت الذي يدق ويتصاغر كل يوم. وبفضل شبكات الانترنيت، والفيسبوك اتسعت شباكه الهامسة. صار ينقل الخبر، وينتخب من أجل تشكيل اللجان، ويعقد الاجتماع، ويقرر، ويتفق على القرار، في ثانية واحدة من الزمان، وفي متر مربع من مكانه، حيث يكون.

والمذهل إن الذين يملكون ناصيةَ هذا المسعى هم الشبان، ومن يحيط بهم من الأعمار. وبفضل الانترنيت صار تسليم المبادرة وقيادتها ليد الشبان من أيسر السبل. لأنهم، بحكم القرن الواحد والعشرين، هم أبناء الانترنيت والفيسبوك. ولأنهم، في الأغلب، مبرئين من "العقائدية"، ومن المطامح التسلطية والمالية والرغبات المتدنية، فإن مسعاهم وهدفهم لا بد أن يكون على المستوى ذاته من البراءة. حدث كل هذا بفضل القرن الحادي والعشرين. وهذه الثورة هي صياغة جديدة لا عهد لنا بها، نحن الذين صرفنا أكثر سنوات العمر في القرن العشرين، واعتدنا على صياغة ثوراته الانقلابية، العقائدية، العسكرية، التي تحمل خارطة طريقها معها واضحة، بينةً لذي البصيرة: أناشيد باسم "الأفكار العظمى"، طريق دموي باسم الضرورة التاريخية، قيادة حكيمة من العسكر أو الحزبيين، صراع تنافسي بينهم. تصفية الجميع بيد الأذكى والأكثر حزماً، ثم الشروع بالدكتاتورية التي يدعمها الإعلام بالنشيد الذي بدأت به.

وعلينا، نحن أبناء الثورات الانقلابية العقائدية في قرننا الغابر، أن لا نغفل أن جهاز النقال، والكومبيوتر لا يقتصر وجوده على بيوت تونس ومصر. فهو اليوم مثل الراديو أيام زمان، في كل بيت في المغرب، الجزائر، ليبيا، السودان، الجزيرة العربية بكل أقطارها، الأردن، سوريا، لبنان، والعراق.لنا أن نتخيل شبان هذه البلدان اليوم، في كل ثانية من الزمان العربي، وكل متر مربع من المكان العربي، ينسجون بحماسة لا عهد لنا بها، خيط مؤامرتهم السرية المحكمة. وهم بالضرورة يملكون ميدانهم المركزي العام، الذي لا يختلف كثيراً عن ميدان التحرير.